**نظريات المدخل المحافظ في تفسير الظواهر السكانية 2**

1. **الكسندر كارسوندز:**

باحث انجليزي اهتم بدراسة الظواهر السكانية وعرض قضاياه النظرية في مؤلف له بعنوان (سكان العالم) وهي:

1- يسلم بأنَّ السكان في أي مجتمع إما أن يكونوا قلة أو كثرة أو عند حد أمثل. . ويرى أنه يمكن أنْ نفرق بين أنواع مختلفة من كثافات السكان، هي الكثافة الفيزيقية والكثافة الإحصائية والكثافة الاقتصادية. وأنَّ مفهوم الكثافة السكانية مفهوم نسبي، لأن الزيادة والقلة مسائل نسبية. ولا يجب أنْ نحكم على مجتمع بأنه قليل السكان لأن عدده قليل في الكيلو متر المربع ولا يجوز بأنْ نقر أنَّ عدد السكان في مجتمع ما كثيراً إذا كان عدد السكان في الكيلو متر كثيراً لأنَّ هذا العدد قد يكون قليلاً وهناك موارد ثروة كثير مثل البلاد الغنية بالأنهار والمعادن والصناعات. وقد يكون العدد كثيراً والموارد قليلة مثل المجتمعات الصحراوي.

2- ثم يفترض أنَّ هناك علاقة بين حجم السكان وبين موارد الثروة في المجتمع سواء أرض زراعية من يمكن استغلالها أو ثروة معدنية يمكن استخراجها أو غيرها من موارد لازمة للإنتاج. بحيث يحكم على هذا العدد بأنه قليل أو خفيف إذا كان العدد لا يساعد على قيام المشروعات التي تستغل هذه الموارد ويعجز عن أن يوفر المنتجات التي يحتاجها هذا العدد ولا يزيد القدرة الإنتاجية للفرد ويكون هذا العدد كثيفاً إذا كانت هذه الزيادة في عدده تؤدي إلى تناقص الإنتاج المستخرج من موارده. ويوصف المجتمع بأنه قد وصل إلى حجم أمثل إذا كان في حالة وسط بين القلة والكثرة وبلغ إنتاجه أقصاه مع عدم الزيادة في عدده.

3- ثم أخذ يحصر الأدلة على صحة افتراضه بالنظر إلى حقيقة دخل الفرد في المجتمع والمترتب على موارد الثروة به.

4- وبناء على هذه الشواهد يذهب إلى أنه يمكن استخلاص مقياس يمكن بواسطته التعرف على مستوى القلة أو الكثرة أو المثلى الذي قد يصل إليه السكان ويتمثل في أنه إذا كان متوسط دخل الفرد آخذاً في الزيادة دل هذا أن عدد السكان في هذا المجتمع عند حد القلة، أما إذا كان متوسط الدخل في حالة استقرار كان عدد السكان عند الحجم الأمثل، وإذا كان المتوسط متجها نحو الهبوط تدريجياً فإن عدد السكان يكون عند حد متزايد.

**ملاحظات نقدية على نظرية كارسوندز:**

- لم يتوخى الدقة في تحديد مفهوماته خاصة أنه عندما حدد الحجم الأمثل للسكان كان ذلك في ضوء عامل واحد هو الثروة0 فإنه قد اغفل ما انتهت إليه نتائج الدراسات السكانية الحديثة وبيانها لدور عوامل التنظيم الاجتماعي والمستوى التكنولوجي والفني والثقافي والصحي وغيرها في تحديد هذا الحجم.

- تتسم نظريته بطابع استاتيكي ثابت وذلك لأنها لم تأخذ في اعتبارها الظروف المتغيرة الناتجة عن التقدم التكنولوجي وارتفاع مستوى المعيشة، وما يترتب على الموارد المتاحة من المتغيرات، كاكتشاف آبار البترول مثلاً، وذلك لأنَّ الحجم الأمثل للسكان قد يتغير بتغير هذه الظروف وبالتالي لا يمكن الكشف عن هذا الحجم بصفة مطلقة بالنسبة لمجتمع معين هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنَّ تعريف الحجم الأمثل للسكان والذي يبلغ عنده الناتج المتوسط أقصاه لا ينطبق على الدول النامية لأنَّ المهم في هذه الدول هو الحصول على أقصى قدر من الاستثمارات وليس وصول متوسط الدخل الفردي إلى أقصاه.

- تفتقر نظريته إلى القدرة على التنبؤ لأنه إذا افترضنا أنه يمكن تحديد الحجم الأمثل للسكان بالنسبة لمجتمع ما في فترة معينة فإنَّ هذه النظرية لا تساعد على تحديد السياسة السكانية التي يجب إتباعها حتى يمكن القضاء على الفجوة بين الحجم الفعلي والحجم الأمثل للسكان.

1. **كنجزلي ديفز:**

عالم اجتماع أمريكي أعار موضوع السكان جانباً كبيراً من اهتماماته، ووضع عدة مؤلفات ومقالات في هذا الصدد، وعرض قضاياه النظرية في مقاله (نظرية التغير والاستجابة في التاريخ الديموجرافي الحديث) وتعد نظريته من أكثر نظريات المدخل المحافظ حرصاً على التمسك بفكرة التوازن. ويمكن أنْ نلخص أهم قضاياه النظرية على النحو التالي:

1- يرفض ديفز النظريات التي تحاول تفسير التغير الاجتماعي بالرجوع إلى عامل واحد فقط كالعامل الاقتصادي مثلاً أو العامل الثقافي. لأنها تحاول تبسيط الأمور وتتهرب من التفسيرات المعقدة وفيما يتعلق بتغيرات الخصوبة فهو يعترض على التفسيرات التي ترى أن هذه التغيرات تخضع لعامل اقتصادي بحت كقلة الموارد المتاحة. ويعترض كذلك على التفسيرات التي تعتمد على العامل الثقافي –دون غيره - كتلك التي تحاول تفسير السلوك الإنجابي بالرجوع إلى "النسق القيمي" السائد في المجتمع ، أو بالرجوع إلى مفهوم الثقافة التقليدية. وهو يرى أنه لفهم التغيرات التي يتعرض لها المجتمع، يجب النظر إلى هذا الأخير على أنه يميل دائماً نحو التوازن الاجتماعي وأنَّ هذا التوازن الاجتماعي يتعرض دائماً لضغوط ومؤثرات قد تنبع من داخل المجتمع أو من خارجه أو تهدد توازنه وتهدم أحياناً هذا التوازن. وتوجد في المجتمع قوى اجتماعية تعمل دائماً على إعادة التوازن في داخله. والتوازن الذي يميل إليه المجتمع في نظر "ديفز" –ليس توازناً بين عدد السكان والموارد المتاحة- وهو ما اعتقده "مالتوس" ، ولكنه توازن بين عدد السكان ومتطلبات البناء الاجتماعي – وهو يقصد بمتطلبات البناء الاجتماعي الموارد التي يجب تخصيصها للمحافظة على البناء الاجتماعي، أو بعبارة أخرى لتحقيق الأهداف الدينية والتربوية والفنية والترفيهية والسياسة التي يرمي إليها المجتمع.

2- ثم يفترض أنه إذا اختل هذا التوازن يميل السكان إلى التكيف مع هذه الظروف من خلال استجابات متنوعة كتأخير سن الزواج أو الالتجاء إلى الإجهاض أو إلى تنظيم الأسرة. وقد تحدث استجابة السكان على مراحل متعددة كأن يلجأوا في بادئ الأمر إلى تأخير سن الزواج، ثم يلجأوا مثلاً إلى الإجهاض، وفي مراحل تالية يلجأوا إلى تنظيم الأسرة أو التعقيم.

3- ويحاول "ديفز" تطبيق نظريته على التطورات السكانية التي حدثت في الدول المتقدمة وأهم هذه الظروف هبوط معدل المواليد. والسؤال الذي يحاول الإجابة عليه مؤداه ما هي التغيرات التي أدت إلى ذلك؟ يرى "ديفز" أنَّ قلة الموارد المتاحة ليست هي السبب الذي أدى هبوط معدل المواليد في الدول المتقدمة. والدليل على ذلك أنَّ السكان ازدادوا زيادة كبيرة في الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر وفي اليابان في بداية القرن العشرين نتيجة لهبوط معدل الوفيات، هذا وفي نفس الوقت الذي ارتفع فيه مستوى المعيشة ارتفاعاً كبيراً. أما السبب الحقيقي الذي أدى إلى هبوط عدد المواليد –على حد تقدير "ديفز"- فهو إمكانية الاستفادة من الرفاهية المتزايدة ومن الفرص الجديدة المتاحة فتزداد بالتالي تكاليف التنشئة الاجتماعية التي تهدف على إعداد الطفل للاستفادة من هذه الفرص الجديدة. فالتغير الذي حدث في مستوى الرفاهية والإمكانيات الجديدة التي أتيحت أمام الأفراد أدى إلى ظهور استجابات متنوعة كتأجيل سن الزواج في ايرلندا وانتشار وسائل منع الحمل في فرنسا والالتجاء إلى الإجهاض في اليابانيون في بادئ الأمر الإجهاض ثم إلى وسائل منع الحمل، ثم إلى التعقيم والهجرة الخارجية، وأخيراً إلى تأخير سن الزواج..

**ملاحظات نقدية على نظرية كنجزلي ديفز:**

* تعد نظرية (ديفز) من أكثر نظريات المدخل المحافظ حرصاً على التمسك بفكرة التوازن.
* كما أنها تواجه نفس المشكلات التي يواجها الإطار البنائي الوظيفي والذي يجسد المدخل المحافظ0
* ويمكن القول أنَّ نظرية دافيز تعد نظرية استاتيكية غير دينامية، لأنها إذا كانت قد استوعبت بعض جوانب الواقع واستمدت منه الشواهد التي تؤكد افتراضاتها، إلاَّ أنها أغفلت جانباً آخر من جوانب الواقع له أهميته في الوصول بالنظرية إلى أعلى مستوى من التجريد، ونعني به جانب الواقع الذي تشهده المجتمعات النامية في العالم الثالث والذي يختلف جوهريا عما شهدته المجتمعات المتقدمة من ظروف التنمية.